محاضرة

كن في الدنيا كأنك غريب

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبدالله المصلح

www.almosleh.com

الحمد لله رب العالمين أحمده سبحانه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه بعثه الله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد بالعلم والبيان والسيف والسنان حتى أتاه اليقين وهو على ذلك فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد. . .

فنحمد الله سبحانه وتعالى حمداً طيباً مباركاً فيه نحمده سبحانه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على ما أولانا من النعم فنعم الله علينا تترى أيها الإخوان ألا وإن من أعظم النعم وأجل المنن وأكبر المنح أن يوفق الإنسان إلى العلم النافع إلى حضور حلق الذكر التي تحيا بها القلوب وينشط بها إلى العمل الصالح فنعمة الله عز وجل على العبد بالتوفيق للطاعة وإلى طلب العلم وإلى حضور حلق العلم من أعظم ما يمن به على العبد ويوفق إليه قال النبي ﷺ: **((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))**[1] والفقه في الدين الذي جعل النبي ﷺ حصوله للمرء دلالة على إرادة الخير به من الله سبحانه وتعالى هو معرفة قول الله وقول رسوله ﷺ

فالعلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولي العرفان

رضي الله عنهم فكل من اشتغل بهذا الأمر سواء اشتغالاً كلياً أو اشتغالاً جزئياً فإنه على خير عظيم وهذا من دلائل إرادة الله عز وجل بعبده الخير فاحمدوا الله أيها الإخوة على هذا الأمر واشكروه عليه واحرصوا عليه فإن حلق الذكر يعلو بها الذكر ويرتفع بها الإيمان ويصلح بها حال الإنسان ينشط بها على العبادة ويعرف بها حق الله عليه يعرف بها ما يكون سبباً من أسباب الخروج من الظلمات إلى النور فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل العلم العاملين به الداعين إليه المقبلين عليه الفرحين به.

أيها الإخوة الكرام إن هذا هو الدرس الأول من سلسلة دروس هدي النبي ﷺ أو من سلسلة دروس في هدي رسول الله ﷺ ، هدي رسول الله ﷺ الذي هو أكمل الهدي وهو عنوان السعادة للعبد إذا وفق

(١) أخرجه البخاري في العلم برقم ٧١ وأخرجه مسلم في الزكاة برقم ١٠٣٧ من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

إليه فإن الله جل وعلا قال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[2] ولا يمكن أن يكون العمل صالحاً إلا إذا كان موافقاً لهدي النبي ﷺ فواجب على كل من حرص على قبول عمله على كل من رغب في تحقيق السعادة لنفسه أن يسلك وأن يعتني بهدي النبي ﷺ يعتني به علماً يعتني به عملاً يعتني به تحصيلاً يعتني به طلباً فإن ذلك سبب للسعادة والجواب أو التعليل لهذا الأمر واضح جدّاً فإن رسول الله ﷺ أكمل الخلق سعادة رسول الله لا أسعد منه في الدنيا ولا في الآخرة وقد من الله عليه جل وعلا بهذه السعادة الوافرة في الدنيا والآخرة فمن رغب في سعادة الدنيا وسعادة الآخرة وفوز الدنيا وفوز الآخرة فليحرص على سلوك النبي ﷺ إن ما سنتناوله في مثل هذه الدروس إن شاء الله تعالى هو ما يتعلق بجوانب من هدي النبي ﷺ نذكر بها أنفسنا حاله ﷺ لأن الله جل وعلا جعل فيه لنا الأسوة الحسنة جعله سبحانه وتعالى لنا إماماً وقائداً فبقدر حرصنا على اتباع سنته والأخذ بهديه والإقبال على ما أرثه وتركه بقدر نصيبنا من صحبته والحشر تحت لوائه والكون معه يوم العرض والنشور.

أيها الإخوة الكرام درسنا إن شاء الله تعالى سيكون في أول أحد من أول كل شهر بإذن الله تعالى في أول ليلة الأحد من كل شهر إن شاء الله تعالى وكما علمتم أننا سنتناول هدي النبي ﷺ وموضوعنا لهذا الدرس هو نظرة رسول الله ﷺ للدنيا وقد انتخبت لبيان ذلك حديثاً في صحيح الإمام البخاري من حديث **ابن عمر رضي الله عنه قال فيه: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي** والمنكب هو مجمع الكتف مع العضد. أخذ رسول الله ﷺ بمنكب ابن عمر لكن قبل أن نتم الحديث نحب أن نقف عند هذه اللفتة النبوية منه ﷺ التي تنم وتدل على تواضع جم منه ﷺ وتدل أيضاً على شفقة ورحمة وتدل أيضاً على نصح تام ورغبة في إيصال الخير فإن رسول الله ﷺ خص ابن عمر الشاب الحدث الذي توفي رسول الله ﷺ وهو في أوائل العشرين أو قد يكون لم يبلغ العشرين فإنه في غزوة الخندق كان عمره خمسة عشرة سنة أو أربع عشرة سنة رسول الله ﷺ لفت نظر هذا الشاب الذي في مقتبل عمره وفي أوائل طريق حياته إلى أمر عظيم ينشطه به على ما يستقبل من بقية العمر ويذكره أهمية الجد والاجتهاد في استباق الأوقات قبل فواتها فإن رسول الله ﷺ قال لابن عمر في هذه الوصية الجامعة التي هي في الحقيقة ترجمة لهذه الدنيا: **((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))**[3] كلمتان أمر رسول الله ﷺ بهما هذا

---

(٢) الكهف: الآية ١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق برقم ٦٤١٦ .

الشاب كن في الدنيا أي ليكن شأنك في هذه الدنيا في هذا المعاش في هذه الحياة بين أحد أمرين في الدنيا كأنك غريب هذا الأمر الأول، الثاني: أو عابر سبيل وكلاهما يجمعه معنى واحد ألا وهو السفر فإن الغريب مسافر والعابر للسبيل مسافر ومجمل الحديث يدل على أنه ينبغي لكل مؤمن لكل إنسان أن يحقق هذا المعنى في حياته وهو الاستشعار أنه في سفر ، كم هم الذين غفلو ا عن هذا الأمر أكثرنا يظن أنه في دار إقامة في دار قرار في دار بقاء لا زوال لها إلا بعد آجال وأعمار ثم يحدث الله ما يشاء من ما يجري ويكون لكن الأمر أقرب من ذلك ورسول الله ﷺ لن يوجه هذه الوصية لشيخ كهل قارب القبر بل وجهها لشاب صغير في أول عمره قد يكون في أوائل السنين التي بعد البلوغ أو قد يكون بلغ العشرين قال له رسول الله ﷺ: **((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))**. والجامع لهما كما ذكرنا هو معنى السفر فما هي حال المسافر؟ حال المسافر جد في طريقه اجتهاد في قطع المسافة لبلوغ مراده وتحصيل مقصوده هذه هي حال المسافر ولذلك **قال رسول الله ﷺ: ((كن في الدنيا كأنك غريب))** هذه هي المرحلة الأولى وهذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه كل إنسان، المرحلة الثانية التي هي مرحلة الجد وانتهاء الاجتهاد في تحصيل المقصود أن يكون الإنسان عابر سبيل فإن الغريب قد يشتغل في غربته في بعض ما يشتغل به المقيمون من أخذ مسكن أو مشرب أو مأكل أو غير ذلك لكنه لا يشتغل اشتغال الذي وطن نفسه على البقاء فمازالت أحكام السفر عليه قائمة ولازال يمني نفسه ويعدها بالارتحال وبلوغ المترل والمقصد الذي يسعى إلى بلوغه وقصده وهو غايته وهي الدار الآخرة.

إن سفرنا أيها الإخوة بدأ من ظهور آبائنا وانتقل إلى بطون أرحام أمهاتنا ثم بعد ذلك بدأت الرحلة التي يدركها ونعيشها وعليها مدار التكليف وبها الفوز والفلاح أو الخسار والهلاك من الخروج من بطون الأمهات ويكمل ذلك بجريان قلم التكليف بالبلوغ فإذا بلغ الإنسان فقد جرى عليه قلم التكليف وأصبح في سفر يحاسب على دقيقه وجليله ثم يمضي هذا العمر سنوات تقل أو تكثر إلا أن الجميع فيها مسافر وكل سيؤول إلى مقر لكنه ليس لإقامة بل هو زيارة وهي دار البرزخ قال الله جل وعلا ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾[٤] فلما ذكر المقابر مع أنها الغاية والمنتهى عند كثير من الناس لم يجعلها دار إقامة بل جعلها دار زيارة ثم هذه الزيارة هل هي طويلة أم قصيرة هي على المؤمن من أقصر ما يكون وكذلك الكافر فإنها لا تطول عليه لأنه يرجو أن تطول وهي خلاف ذلك فهو يقول: **((ربِّ لا تقم**

---

(٤) التكاثر: ١–٢

الساعة ربِّ لا تقم الساعة))[٥] ثم يبعث الناس من قبورهم يقومون لرب العالمين على هيئتهم يوم خرجوا إلى دار التكليف حفاة عراة غرلاً ثم بعد ذلك يحشرون في محشر عظيم وموقف مهول فيه من الأهوال والفظائع ما تشيب منه رؤوس الولدان كما قال الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[٦]. هذا هو الواقع الذي سبب ما قبله من الأوصاف من الذهول والاضطراب وكون الناس على هيئة السكارى في هذه الدنيا ومن رأى السكران يعرف حاله واضطرابه هي حال الناس في ذلك الموقف ثم بعد ذلك ما الذي جعل هذه الحال هي على هذه الصفة وهي حال عامة للجميع هي أن عذاب الله جل وعلا في ذلك اليوم وما أعده لمن خالف أمره عظيم تذهل له العقول وتضطرب له القلوب وتهتز له النفوس يستوجب أن يثبت الإنسان نفسه في هذه الدنيا بالعمل الصالح الذي يدفع عنه أهوال ذلك اليوم ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[٧] فنسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم أيها الإخوة من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين يثبتون على الحق والهدى في هذه الدار وفي الآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه أيها الإخوة إن النبي ﷺ ذكر في هذا الحديث مرحلتين ينبغي للمؤمن أن يحرص على أن يكون في إحدى هاتين المرحلتين أو في إحدى هاتين الحالتين ويخطئ ويظلم نفسه من يخرج عن دائرة هاتين المرحلتين المرحلة الأولى أن يكون في الدنيا كأنه غريب مستعد للرحيل ينتظر وقت انقضاء سفره وانقضاء همته ليعجل السير إلى بلده فإن الناس ليست هذه بلادهم ولا هذا قرارهم بل قرارهم ما ذكر الله جل وعلا بقوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٨] هذا منتهى حال الناس فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير نسأل الله أن نكون من أهل الجنة فينبغي للمؤمن أن يستحضر هذه الغربة وأن تكون منه على بال وأن تكون منه على خاطر وألا يغفل ببنيات الطريق وما في هذه الدنيا من ملاهٍ وملذات فإن هذه الملاهي والعوائق تغرك وتمنعك عن مواصلة سيرك. الأمر الثاني أو المرحلة الثانية التي ينبغي للمؤمن أن يسعى إلى تحقيقها هي أن يكون عابر سبيل أي أن يكون في حاله وشأنه واستعداده للآخرة واستعداده لبلوغ قصده كذلك الذي سار في

---

(٥) أخرجه أحمد برقم ١٨٠٦٣ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٦) الحج:١-٢.

(٧) إبراهيم:٢٧.

(٨) الشورى: ٧.

طريق فاستظل تحت ظل شجرة ثم ذهب وتركها أيها الإخوة أن عابر السبيل أقل أثقالاً من الغريب فالغريب قد يسكن وقد يستقر لبرهة من الزمن وقد يشتغل بما يشتغل به المقيمون لكن عابر السبيل مظاهر السفر والتعب عليه بادية وقلبه بسفره مشغول لا يأنس إلى أحد ولا يأوي إلى أحد بل همه وشغله في بلوغ غايته وقصده كلنا يسعى ويشتغل للوصول إلى رحمة الله عز وجل إلى جنة عرضها السماوات والأرض فالواجب على كل أحد أن يشتغل بهذه الغاية وأن يسعى إلى تحقيقها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٩) هذه هي غاية الوجود هذا هو المقصود من خلق السماوات والأرض والإنس والجن والذكر والأنثى تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى فهل نحن مشتغلون بالغاية لندرك المطلوب أم نحن غافلون عنها فيفوتنا خير مطلوب وهو الجنة التي وعدها الله عز وجل عباده المتقين إن المرحلة الثانية مرحلة كمال ولمنها مرحلة تحتاج إلى رجال تحتاج إلى حضور قلب ودوام مراقبة ودوام ملاحظة بأن لا يغفل الإنسان لأن المسافر في سفره قد يشتغل بعض الأحيان فيما يلهيه عن بلوغ مقصوده بما يعوقه عن الوصول إلى مكان إقامته وقراره فينبغي له أن يكون دائم الملاحظة دائم المراقبة دائم العناية بقلبه ونفسه و سيره وقصده هل هو على الجادة أم أنه متخلف هل هو ساع في تحقيق المقصود أم أنه متأخر أيها الإخوة إن صحابة رسول الله ﷺ تميزوا بميزة جعلتهم خير القرون ألا وهي سرعة المبادرة والاستجابة لله ولرسوله فكانوا رضي الله عنهم سباقين إلى امتثال أمر الله ورسوله ، شواهد هذا في سيرهم كثيرة ولا أظن أن نأتي على شيء منها إلا ما ذكر في هذا الحديث فإن ابن عمر الذي أوصاه الرسول ﷺ بهذه الوصية ذكر لنا الغاية في تحقيق الغربة وتحصيل ما أمره به رسول الله ﷺ فكان رضي الله عنه يقول كما في صحيح البخاري في ذكر هذا الحديث **قال موصياً من يبلغه هذا الحديث: ((فإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك))**(١٠) هذه الكلمات من ابن عمر رضي الله عنه ترجمة حرفية فعلية يبين فيها كيف تحقق وصية رسول الله ﷺ وهي الغاية والمنتهى في قصر الأمل لأن المسافر الذي هو عابر سبيل في الغالب قد يحتاج إلى الإقامة في مكان من الأماكن ليستريح وينشط على سفره لكن إقامته لا تدوم بل إذا أصبح لا ينتظر المساء في المكان الذي أقام فيه يمشي ويواصل السير كذلك إذا أمسى لا ينتظر الصباح بل هو مسافر ثم هو في سيره يغتنم أوقات عمره ونشاطه وقوته في تحقيق غرضه ومقصوده وهذا **ما وجّه إليه**

---

(٩) الذريات:٥٦.

(١٠) أخرجه البخاري في الرقاق برقم ٦٤١٦ .

ابن عمر رضي الله عنه في قوله: ((خذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك))[١١] فإن كل أحد ميت وكثير من الناس تنزل بهم الأمراض فاجتهادهم في وقت النشاط في طاعة الله عز وجل من ما يكتب لهم الأجر في حالة المرض فإن الله من كرمه وواسع فضله وجوده وإحسانه وبره ورأفته ورحمته بعباده أنه يكتب للعامل الصادق عمله صحيحاً مقيماً إذا نزل به مرض أو سافر كما في حديث أبي موسى في الصحيح فينبغي للعبد أن يأخذ بهذه الوصية فإنها من أسهل الوسائل وأقرب الطرق التي يتحقق بها امتثال وصية رسول الله ﷺ لابن عمر وهو أمر لكل الأمة وليس خاصّاً بابن عمر ومن ما يعيننا أيها الإخوة على تحقيق ذلك أن نتلمس ترجمة هذا الحديث في هدي رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ أنزل الله جل وعلا عليه القرآن ليبينه للناس فكان فعله ﷺ وهديه ترجمة لما في القرآن وكان هديه وفعله ﷺ ترجمة لما أمره الله به فهو السباق إلى الخيرات ما أمره الله بأمر إلاّ وبادر إليه ولا نهاه عن نهي إلا كان أول المنتهين عنه ﷺ فما موقف الرسول ﷺ من الدنيا **روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ يوماً من الأيام فكان رسول الله ﷺ متكئاً على حصير فلما قام رسول الله ﷺ بدا أثر الحصير في جنبه فقال ابن مسعود لرسول الله ﷺ: هلا أمرتنا فنصنع لك مكاناً أو نعمل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: ((مالي وللدنيا))**. يعني أي شيء لي ولهذه الدنيا يعني أي شيء يحملني على التعلق بها؟ ثم بين رسول الله ﷺ هديه وسمته وطريقته **فقال: ((إنما أنا كراكب استظل يعني شأني شأن الراكب السائر في طريقه القاصد إلى جهة من الجهات قال في ظل شجرة وفي رواية استظل ثم راح وتركها))**[١٢] هذه حال رسول الله ﷺ في هذه الدنيا وهذا الحديث يبين لنا بياناً واضحاً أن الحياة مهما كانت في غاية من السعادة فرسول الله كما قدمنا قبل قليل أسعد الخلق أسعد الناس أسعد بني آدم مع ذلك رسول الله ﷺ يعد هذه الدنيا كالظل الذي يستظل به السائر في طريقه يحتمي به من الشمس ثم يخرج بعد أن قال واستراح لمواصلة سيره وهذا يبين لنا أيها الإخوة أن الدنيا مهما طابت فهي سريعة الرحيل سريعة الزوال هي دار قليلة المكث فالواجب على من نصح نفسه أن يجتهد في مرضاة ربه وأن يبالغ في تحقيق العبودية لله عز وجل جهده وطاقته على وفق سنة رسول الله ﷺ وهديه قال رسول الله ﷺ في بيان وصفه للدنيا وما فيها مهما بلغت من النعيم ومهما كان فيها من البهرج **يقول رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث المستورد بن شداد يقول:**

---

(١١) أخرجه البخاري في الرقاق برقم ٦٤١٦ .

(١٢) رواه أحمد في مسنده برقم ٢٧٣٩ وأخرجه الترمذي في الزهد برقم ٢٣٧٧ وأخرجه ابن ماجه في الزهد برقم ٤١٠٩.

((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بمَ يرجع))(١٣) هذه هي الدنيا بما فيها من الملذات وما فيها من أنواع التنعمات شأنها شأن ذلك الذي وقف على يم ثم غمس يده في اليم وأخرجها فما الذي يعلق مقارنة بما بقي في اليم إنه لا يذكر وهذا وصف لما يمكن أن يحصله الإنسان في هذه الدنيا من النعيم الذي يفوته في الآخرة إذا كان من المنعمين ومن من حصل لهم الغاية في التنعم في هذه الدنيا أيها الإخوة الكرام إن رسول الله ﷺ هديه ترجمة لما في القرآن بيان لما حواه كتاب الله عز وجل بل الله جل وعلا قال في كتابه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١٤) فتزل الله عز وجل هذا القرآن على رسوله ليبينه للناس لعلهم يتفكرون لعله يحصل منهم التفكر والتذكر وإذا نظرنا إلى هذه السيرة لا نستغربها إذا علمنا أن هذا القرآن مملوء بالتزهيد في الدنيا وبيان حقارتها وخستها وانقطاعها وأنها دار زائلة طيف زائل وخيال عما قليل عابر وأن الآخرة هي دار القرار وأنها هي المستقر لكل أحد وقف عند قوله تعالى ليتبين لك ذلك وإن كان القرآن كما ذكرنا مملوءاً بذلك قف عند قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(١٥) أي متاع خادع يبين لك ما ليس له حقيقة متاع باطل كاذب فهو يظهر صاحبه بالسعادة والمكانة والطمأنينة وقلبه خال من ذلك ثم بعد أن بين هذا الأمر وجه إلى ما يحصل به السلامة من هذا الغرور فقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(١٦). إذاً سبيل السلامة من غرور هذه الدنيا هو أن يجد الإنسان في تحقيق العبودية أن يصل الإنسان عمره بالطاعة أن يحتسب الدقيق والجليل عند الله سبحانه وتعالى أن لا يشتغل بما يشتغل به الناس من الانهماك في هذه الدنيا والإقبال عليها وجعلها في المرتبة الأولى من الاهتمامات ليس المراد أن ينقطع الإنسان عن الدنيا فإنه لا قوام له إلا بذلك لكن المراد أن لا تكون الدنيا قد تخللت القلب وتربعت على سويداء القلب بل المراد أن يكون الإنسان مشتغلاً بالطاعة عاملاً فيما يرضي الله عز وجل باذلاً طاقته في تحقيق مرضاة الله عز وجل ولا مانع أن يشتغل بعد ذلك فيما يقيم به معاشه ويصلح به دنياه لا ندعو إلى زهد الصوفية الذين يقولون:

(١٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها برقم ٢٨٥٨.

(١٤) النحل: ٤٤.

(١٥) الحديد: ٢٠.

(١٦) الحديد: ٢١.

دع الدنيا واهجرها فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك كان عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح يدخر قوت أهله لسنة وكان ﷺ يواعد الناس ويجلس لهم ويخطط لأمر مستقبلهم فيما يتعلق بطاعة الله عز وجل وفيما يعين على ذلك من أمر الدنيا لكن الذي ندمه والذي يخالف مقتضى ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغربة هو أن يشتغل الإنسان بهذه الدنيا عن الآخرة وأن تكون هي همه هي محل اهتمامه ومحل عنايته وهي التي عليها يوالي وعليها يعادي وهي التي بها يحب وبها يكره ولها يعطي ولها يمنع هذا الذي ينبغي أن نسلم منه وأن نصون أنفسنا وقلوبنا ومجتمعنا منه وإذا كنا كذلك فقد حققنا خيراً كثيراً إن من ما يعين على تحقيق ما أمر به رسول الله أن ننظر إلى سرعة انقضاء الدنيا فالدنيا أيها الإخوان سريعة الانقضاء هي مراحل تنقضي مرحلة تلو مرحلة إذا لم يدرك الإنسان هذا الأمر غفل وإذا غفل فاتت عليه الخيرات فاتت الفرص عمرك فرصة للسبق إلى مغفرة من الله عز وجل ورضوانه إلى المسارعة إلى جنة عرضها السماوات والأرض فاحرص على مراحل عمرك واعلم أن الليل والنهار مراحل تطوى وتنقضي فيوم أمس شاهد عليك ويومك الحاضر محل عملك وغداً قد لا تدركه فلا تدري أتكون فيه من الأحياء أو لا تكون فيه من الأحياء فاعمل جاداً في قطع المراحل في طاعة الله عز وجل واعلم أن المراحل تطوى وأنت لا تشعر كلنا لو أراد أن يسترجع ذاكرته وذهنه إلى ما قبل سنوات قريبة لفاته الشيء الكثير وقال: ما أسرع تقارب الزمان وتعاقب الليالي والأيام لكن هذا لا ينفعه إذا كان لا يحدث به إقبالاً على الطاعة تصحيحاً للأخطاء استدراكاً لما فات تنمية وزيادة للخيرات مراحل العمر تنقضي وتسير سيراً حثيثاً والعجيب أنك لو تأملتها لرأيت منازل تطوى والمسافر قاعد هذه حال الدنيا الليل والنهار منازل تطوى وتنقضي والمسافر أنا وأنت والثاني والثالث قاعد لا نشعر بهذا السفر ومن الغريب العجيب أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً والواقع أن تعاقب الليل والنهار أصبح غشاء عند كثير من الناس ينسيه النهار ما كان في الليل ويلهيه ليله عن ما يكون في نهاره وهلم جرّاً أصبح تعاقب الليل والنهار فتنة له لا ذكرى وعبرة نسأل الله عز وجل أيها الإخوة الكرام أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلنا من عباده المتقين المحققين لأمر رسول الله ﷺ عامة وفي هذا الحديث خاصة ونكتفي بهذا القدر من الكلام ونتلقى ما يكون من الأسئلة أسأل الله سبحانه وتعالى التسديد للصواب.